وقد لعبت اللغة دورا خاصا ومبرزا في ايديولوجية النزعة القومية الالمانية بوجه الخصوص ، حيث ظلت هذه الامة لظروف تاريخية مشتتة ومقسمة على رقعة واسعة من الارض لا يجمعها سوى رباط اللغة ، وقد اشاد فختة باللغة الالمانية في خطاباته الشهيرة الى الامة الالمانية سنة ١٨٠٧ ـ ١٨٠٨ ، والتي يستنهض فيها الامة الالمانية ضد السيطرة النابوليونية ، مؤكدا ان الشعب الالماني له رسالة روحية واخلاقية كبرى لمصلحة الجنس البشري ، وهو ينفرد بها ، لانه الشعب الوحيد الذي احتفظ بلغته الاصلية في رأية ، بعكس الفرنسيين والانجليز ٠

وكانت وجهة النظر هذه ، باعتبار اللغة الاصلية للشعوب اللغة العامية والدارجة واللغة التاريخية هي وعاء روح الشعب ورمز اصالته ويذوعه الخلاق ، من الافكار العميقة الجذور في الفكر الرومانسي الثوري ، بعكس فلسفات الاستنارة التي وجهت همها الى الطبقات المثقفة ، الى جانب احتفائهم بالاساطير والقصص الشعبي والاغاني والموسيقى الشعبية وبكل ما يشكل التراث ويصوغ العبقرية الخاصة للامة وشخصيتها المتفردة ٠

ولا تحتاج الامور الى جهد كبير لاثبات اثر هذه النظرة الرومانسية ، وبالاخص الرومانسية الالمانية ، في اللغة باعتبارها الوعاء الحافظ لروح الشعوب واصالتها وتفردها ورسالتها التاريخية ٠ خاصة وان تراث التفرد والاصالة التاريخية له مكانته الخاصة في تراثهم الديني ـ ويشير هيرتز (٧) الى هذا الاثر ٠ فقد احتفظ اليهود بلغاتهم الالمانية والاسبانية ، مع شيء من الاختلاط بالعبرية عند نزوحهم الى بولندا وتركيا اثر الاضطهادات الدموية في العصور الوسطى ٠ وعند العودة الى الغرب في مطلع العصر الحديث احتفظوا بكثير من سماتهم اللغوية الخاصة ، ولكنها سرعان ما اختفت وذابت مع انتشار التربية الغربية ، واتساع حركة الذوبان والاندماج في شعوبهم ، واصبح الكثير منهم من ابرز الكتاب والمتحدثين والخطباء باللغات القومية ، بل ومن ابرز اساتذة الالمانية والفرنسية وغيرها من اللغات الغربية ٠ ثم جاءت حركة الردة ودعوات الصهيونية للعودة الى فلسطين ، فكان الاهتمام المفرط من جانب المفكرين والدعاة الصهيونيين الاول من امثال هس سمولنسكين وبن يهودا وأحدهاعام وغيرهم ، ببعث اللغة العبرية كلغة قومية ، ووعاء للتاريخ والتراث اليهودي ، ورمز للتفرد والاستعلاء ، واداة لتحقيق الحلم الصهيوني٠

حركة القومية الالمانية وتطور الفكر العنصري والعرقي

لم يكن من قبيل الصدفة ان حركة الاصلاح اليهودي والاندماج على يد مندلسون تنبع من المانيا ، وان حركة الردة الصهيونية على يد موسى هس